قرابة[1] وتلك سيرة لداعية يظهر بين الناس ، إذ يجد نفسه مرتبطا بقربى مع سائر البطون .

وأخرج البخاري عن ابن عباس –رضي الله عنهما – :« أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم – لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلاَّ وَلَهُ قَرَابَةٌ فِيهِ»[2].

وهكذا كانت تهيئة الله – سبحانه وتعالى – لنبيه – صلى الله عليه وسلم – قبل ميلاده ، فجعل آباءه من خير الخلق خلقا ، ودينا ومسلكا ، وجعل آباءه من بطن يتصل بكل بطون قريش اتصالا قائما على النسب والقربى .

وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – مثال الصدق والأمانة في سلوكه ، حتى اشتهر بهاتين الصفتين ، وسماه الناس بالصادق الأمين وتجلت عناية الله – سبحانه وتعالى – به في هذه المرحلة ، فلم يسجد لصنم قط ، وكان يلتمس الهدى ، متبعا مابقى من دين إبراهيم – عليه السلام – .

فالعناية الإلهية ، تضمنت تهيئة النشأة القوية للنبي – صلى الله عليه وسلم – إذ أحاطته بإيواء قوي رحيم ، وشكلت شخصيته بالواقعية والأصالة .

اختيار الأمة الأولى للإسلام

. يذكر العلماء أن كمال كل نوع إنما هو محصول صفاته الخاصة به وصدور آثاره المقصودة به ، وبحسب زيادة ذلك ونقصانه ، يفضل بعض أفراده بعضا ، إلى أن يعد أحدهما سماء والآخر أرضا .

والإنسان مشارك لسائر الأجسام في الحصول في الحيز والفضاء وللنباتات في الغذاء والنشوء والنماء ، وللحيوانات في حيويته بأنفاسه وحركته بإرادته

---

(١) د . أحمد غلوش ، الدعوة لإسلامية ، ص : ١٢١ .

(٢) رواه البخاري ، في صحيحه ، كتاب المناقب ، جـ : ٤ ، ص : ٢١٧ ، ورواه البزار ، في كشف الأستار عن زوائد البزار ، كتاب علامات النبوة باب قدم نبوته – صلى الله عليه وسلم – ، جـ : ٣ ، ص : ١١٢ . ورواه الطبراني في الأوسط .

وإحساسه ، وإنما يتميز بما أعطى من القوة النطقية ومايتبعها من العقل ، والعلوم الضرورية ، والأعمال الصالحة المرضية وأهليته للنظر والاستدلال ، وترقيه بذلك في مدارج الكمال ، وعلمه بما أمكن واستحال ، فإذا كماله إنما هو بتعقل المعقولات ، واكتساب المجهولات ، وبالأخلاق الحسنة التابعة للأعمال الصالحات ، فللإنسان فضل على سائر الحيوانات كلها في نفسه وجسمه[1] .

ولقد كان لظهور الإسلام في الأمة العربية دليل على مميزات وضعها الله – سبحانه وتعالى – في العرب ، واختارهم من أجلها ليكونوا أمة يبعث النبي – صلى الله عليه وسلم – فيها وبلسانها ، وينزل القرآن الكريم بلغتها ، مراعيا جانب التفوق العربي ، في إعجازه ودقته ولابد أن تكون هذه الأمة على مستوى ارتباط العالم كله بها ، واتجاهه إليها عند كل صلاة وحج ، وعلى قدرة تحمل مسئولية إبلاغ الدعوة إلى كل الآفاق[2] .

فأي أمة لها كل هذا في تاريخ الإنسانية ؟

إنها أولا : الأمة التي يتحقق لنا من استقراء التاريخ : أنها نطفة البشر الأولى[3] ، وأنها بدء حياة الإنسان ، فإن سلامة الفطرة في البشرية لا تكون على أتم ظهورها بالبداهة ، إلا في هذه الأمة التي تنطوي فيها الأمم ، والتي تنفجر من صخرتها ينابيع الخصائص الأولى نقية قبل أن تتدنس بصراعات الحياة وتسقط في أخاديد القهر ، وتدور في منعرجاته ومآزقه ، وهذه الأمة التي يقرر التاريخ الصحيح ابتداء البشر بها هي : الأمة العربية لاجدال . ضاربين صفحا من القول الشائع : بقدم التاريخ المصري ، أو البابلي ، فكلاهما ليس إلا أثرا متأخرا من آثار

---

(١) الألوسي البغدادي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، جـ : ١ ، ص : ١٨ ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ٩٩ .

(٣) أي : أنهم كانوا أكثر الناس حفاظا على الأنساب ، حتى لا تختلط .أحمد موسى سالم ، لماذا ظهر الإسلام في جزيرة العرب ؟ المقدمة ط : دار الجيل ، بيروت .

الهجرات العربية القديمة ، التي فاض بها قلب الجزيرة على أطراف الوطن العربي[1] .

وهى ثانيا : الأمة التي يقوم الدليل على أن الله – عز وجل – خاطبها بالفعل ، وجعل لسان الحق لسانها ، ودعوة الخير في الناس دعوتها ، وكتاب العدل في البشر كتابها ، ولقد قام الدليل الناصع الخالد على أنها هي : الأمة العربية ، أمة القرآن ، وأمة الإسلام ، وأمة البيان[2] .

وهي ثالثا : الأمة التي يثبت بالدليل :أن لها من عناصرالبيئة التي تحيا فيها مايحفظ عليها كمال الفطرة الإنسانية التي نشأت عليها في قوام البدن ، وتقويم النفس ، ذلك أن النفس والبدن في اتحادهما على كمال الفطرة ، يؤلفان اتجاه العقل السليم[3] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى خصائص للعرب ، أهلتهم لحمل أكبر رسالة وأبقاها ، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[4] .

جاء في تفسير الفخر الرازي : ووصفه لذريته بذلك ، لايليق إلا بأمة محمد – صلى الله عليه وسلم – ، فعطف عليه بقوله تعالى :﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ.. ﴾[5] ، وهذا الدعاء يفيد كمال حال ذريته من وجهين :

(١) أحمد موسى سالم ، لماذا ظهر الإسلام في جزيرة العرب ؟ ص : ١٤٧ – ١٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص١٤٨ .

(٣) المرجع السابق ، ونفس الصفحة .

(٤) سورة البقرة الآيتان ١٢٨ – ١٢٩ .

(٥) الرازي ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، جـ : ٢ ، ص : ٧١ – ٧٢ . ط : دار الفكر ، بيروت .

أحدهما :أن يكون فيهم رسول ، يكمل لهم الدين والشرع ، ويدعوهم إلى مايثبتون به على الإسلام .

وثانيهما :أن يكون ذلك المبعوث منهم ، لا من غيرهم[1] .

وقال ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – : « لَيْسَ فِي الْعَرَبِ قَبِيلَةٌ إِلاَّ قَدْ وَلَدَتْ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – مُضَرِيُّها وَرَبِيعِيُّهَا وَيَمَانِيُّهَا »[2] .

والله – سبحانه وتعالى – تخير العرب من خلقه ، وتخير الرسول –صلى الله عليه وسلم – منهم[3] .

قال ابن تيمية –رحمه الله – :« والذي عليه أهل السنة والجماعة : اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم ، عبرانيهم وسريانيهم ، روميهم وفرسيهم ، وغيرهم .

وأن قريشا أفضل العرب ، وأن بني هاشم : أفضل قريش ، وأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : أفضل بني هاشم ، فهو : أفضل الخلق نفسا ، وأفضلهم نسبا .

وليس فضل العرب ، ثم قريش ، ثم بني هاشم ، لمجرد كون النبي –صلى الله عليه وسلم – منهم ، وإن كان هذا من الفضل ، بل هم في أنفسهم أفضل ، وبذلك يثبت لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه أفضل نفسا ونسبا[4] .

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم – : « **خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ ، فَاخْتَارَ مِنَ الْخَلقِ بَنِي آدَمَ ، وَاخْتَارَمِنْ بَنِي آدَمَ الْعَرَبَ ، واخْتَارَ مِنَ الْعَرَبَ مُضَرَ ، وَاخْتَارَ مِنْ مُضَرَ قُرَيْشًا وَاخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ**

---

(١) الرازى : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) جـ٢، ص :٧١،٧٢ ط : دار الفكر – بيروت .
(٢) ابن الجوزي ، الوفاء بأحوال المصطفى ، جـ : ١ ، ص : ٧٩ ، ط : بيروت .
(٣) الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، جـ : ١ ، ص : ٢٦٩ .
(٤) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ، جـ : ١ ، ص : ٣٧٠ – ٣٧١ .

بَنِي هَاشِمٍ ، وَاخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، فَأَنَا ، خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ » .

وعن وائلة بن الأسقع – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم – :« **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيم إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى كِنَانَةَمِنْ بَنِى إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشاً، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيشٍ بَنِى هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ »** .

ويذكر ابن خلدون فضل العرب ، فيقول :« وهم أسرع الناس قبولا للحق والهدى ، لسلامة طباعهم عن اعوجاج الكلمات وبراءتها من ذميم الأخلاق ، إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة ، المتهيء لقبول الخير ، ببقائه على الفطرة الأُولى ، وبعده عما ينطبع في النفوس ، من قبيح العوائد ، وسوء الملكات »[1] .

وأهم ما حفظ ديار العرب من اكتساح غيرها لها من الأمم في غابر الدهر : « كون العرب أهل شدة وبأس ، وأباة ضيم ، لا ينامون على الثأر ويصبرون على شظف العيش ، ويتبلغون بميسوره ، وليست الرفاهية من شأن أكثر المعمور من أرضهم . ولذلك خاب الفرس والرومان والفراعنة والحبشة يوم حاولوا أن يستولوا على اليمن والحجاز ، وما إليهما ، مقدرين أن جزيرة العرب ، لا تساوى اكتساحها ، وأن من الصعب إجراء الأحكام على أهلها ، لبعد المسافات في فلوات ، لا أول لها ولاآخر[2] .

لقد أفادت البحوث : أن لبيئة العرب – عند ظهور الإسلام – مقومات لم تكن متوفرة في غيرها ، من بيئات العالم القديم ، لقد كانت مبرأة من القهر السياسي ، والترف الحضاري[3] .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص : ١٣٢ ، ط : كتاب التحرير ، سنة : ١٣٨٦هـ بالقاهرة .

(٢) محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، جـ : ١ ، ص : ١٢٠ ، ط : الثالثة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، سنة : ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .

(٣) د . عبد العزيز كامل ، الرسول وموقفه من التفرقة العنصرية ، جـ : ١ ، ص : ٦٣٣ ، من كتاب : البحوث والدراسات المقدمة لمؤتمر السيرة ، ط : قطر سنة : ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

وأهم عوامل المدنية في جزيرة العرب ، كون أهلها عرفوا في كل العصور معاناة التجارة ، ينقلون مع حاصلاتهم حاصلات الشرق إلى الغرب وحاصلات الغرب إلى الشرق ، واشتهروا بذلك . وكانت معرفة العرب بالأقطار المجاورة لاغبار عليها ، وكثيرا ما كانوا يفتشون الأملاك والضياع وينزلون الولايات المجاورة ، يساكنون أهلها ، كأن تلك البلاد أجزاء متممة لديارهم ، على اختلاف بينهم ، وبين ساكنيها في الطبائع والألسن[1] .

وإن البحث يقف بنا على صفات إنسانية عديدة ، أهلت العرب لتحمل مسئولية الدعوة الإسلامية ، ومن تلك الصفات :

أولا : أن الأمة العربية جمعت بين صفات البدو والحضر ، ومن هنا : كانت عصبيتهم الحادة ، التي جعلت كل فرد يتصور نفسه ملكا لايخضع لغير قبيلته ، و لم تقم لهم بذلك دولة واحدة ، وكان الرئيس فيهم كواحد منهم ، بل كان يتقرب إليهم بالحيل وتحسين المعاملة ، كسبا لودهم ، وفوزا برضاهم عنه[2] .

وهذه العصبية فاقت حدها ، فانقلبت إلى ضد المطلوب منها لكن ما فيهم من سلامة الطبع وبعدهم قليلا من البداوة ، جعلهم يقبلون الخضوع للدعوة الدينية على أساس أن الوازع في هذا الخضوع ، لم ينشأ بسبب قهر بشري ، أو استذلال سلطان ، وإنما سببه من داخل أنفسهم كما أنه ليس خضوعا لفرد أو لقبيلة ، ولكنه خضوع لدين الله ، الذي يبعد المرء كلية عن التحاسد والتنافس والبغضاء[3] .

وقد لاحظ ابن خلدون طبيعة العرب في الإباء والشمم فذكر « أنهم لايجتمعون إلا بصيغة دينية ، فإذا كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم ، فسهل انقيادهم واجتماعهم ، وذلك بما يشملهم من الدين المهذب للغلظة والأنفة ، الوازع عن التحاسد والتنافس فإذا كان فيهم النبي الذي يبعثهم على

---

(١) محمد كردعلي ، الإسلام والحضارة العربية ، جـ : ١ ، ص : ١٢٠ .

(٢) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١٠٦ .

(٣) المرجع السابق .

القيام بأمر الله ، ويذهب عنهم مذموم الأخلاق ، ويأخذهم بمحمودها ، ويؤلف كلمتهم ، لإظهار الحق ثم اجتماعهم حصل لهم التغلب والملك[1] .

وهكذا ظهرت الدعوة الإسلامية في أمة جمعت بين البدو والحضر هي أمة العرب ، فحملتها بكفاءة وبلغتها إلى الناس أجمعين .

ثانيا : عرف العرب بدوا وحضرا بالشجاعة والجرأة ، والكبرياء العنيد ، كبرياء الرجل الحر ، حتى صار العرب أشجع الناس[2] ، وأما كون العرب أشجع من غيرهم ، فلأن الشجاعة من الصفات الغريزية والسجايا الطبيعية ، وقوة للنفس معنوية ، لاتدرك إلا بآثارها وغاياتها ولاتعلم إلا بمقتضياتها ، وهي : الإقدام في مواضع الإحجام ، وعدم المبالاة بالحياة ،وبالممات ، وكلما كانت هذه الآثار أعظم ، كان مبدؤها أقوى وأتم ، والعرب لم تزل رماحهم متشابكة ، وأعمارهم في الحروب متهالكة ، وسيوفهم متقارعة ، وأبطالهم في ميادين الهوجاء متنازعة ، قد رغبوا عن الحياة ، وطيب اللذات[3] .

ويكفي أن نعرف : أن العربي لم يسمح بمرور قوافل أجنبية للتجارة في أرضه ، إلا تحت إمرته ، وبعد موافقته ، ولقد كان لأيام العرب التي نشبت قبيل ظهور الدعوة ، واستمرت طويلا ، في أماكن متعددة أثر في تكوين العرب على الشجاعة والتحمل ، وقبول المخاطر .

وأن الجيل الذي عاصر ظهور الدعوة ، هو : الحمل الذي ولد ونشأ بين حديث الدم ، وصوت الرياح ، ولذلك تعد هذه الأيام مدرسة ناجحة في تخريج

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص : ١٣٢ .

(٢) د . يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص : ٧٣ ، ط : الأولى ، دار المعارف ، بمصر .

د . عبد الحليم محمود ، عالمية الدعوة الإسلامية ، جـ : ٢ ، ص : ٥٠٦ ط : الثانية ، سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م الناشر : دار عكاظ للطباعة والنشر .

(٣) الآلوسي البغدادي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ص : ١٠٣ - ١٠٤ .

حملة الدعوة الأقوياء[1] .

ثالثا : وما تمتع به العرب من صفات أهلتهم لأن يكونوا الأمة الأولى للدعوة الإسلامية : ما تمتعوا به من ملامح العلم في القول والعمل ، فلقد كان العرب أقرب للعلم من غيرهم ، لأن العلم إمساك النفس عن هيجان الغضب ، كما أن التحلم : إمساكها عن قضاء الوطر ، والحلم من آثار العقل ، وغير منفك عنه[2] .

وما الكناية في كلام العرب ، ولغتهم ، إلا حساسية مرهفة ، وصيانة للسان من القول البذيء ، يستعان بها في الأسلوب ، عوضا عن التصريح بالقبح ، وما يستنكره[3] وقد كان عندهم كلمة يقولونها في مواطن الثورة والغضب ، فيسكن الغضب ، وتهدأ الثورة ،هذه الكلمة هي : (إذا ملكت فأسجح)[4] ومن حلمهم العملي : ماروي أن قيس بن عاصم المنقري كان يحدث أصحابه يوما وهو جالس حبوا ، فجاءوا بابن له قتيل ، وابن عم له كتيف ، فقالوا : « إن هذا قتل ابنك هذا » . فلم يقطع حديثه ولانقض حبوته . ولما فرغ من حديثه التفت إليهم ، وقال : أين ابني فلان فجاء . فقال : يابني قم إلى ابن عمك فأطلقه ، وإلى أخيك فادفنه وإلى أم القتيل فأعطها مائة ناقة ، فإنها غريبة لعلها تسلو عنه[5] .

رابعا : ومما اتصف به العرب وتمتعوا به : الوفاء ، وهو يعد دليلا على سمو نفسياتهم ، واستقامة شجاعتهم ، واعتدال حياتهم ، فما نقضوا عهدا ، أو خالفوا وعدا ، وكانوا يرون : أن الغدر من كبائر الذنوب فحكموا بذلك قوتهم

---

(١) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١٠٧ .

(٢) الآلوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ص : ٩٩ .

(٣) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١٠٧ .

(٤) أي : إذا ظفرت فأحسن ، وإذا قدرت فسهل ، وأحسن العفو . الآلوسي ، بلوغ الأرب ، ص : ١٠١ .
ابن منظور ، لسان العرب ، جـ : ٢ ، ص : ٤٧٥ ، مادة (سجح) .

(٥) الآلوسي ، بلوغ الأرب ، جـ : ١ ، ص : ١٠٢ .

وسيطرتهم على أنفسهم[1] ، فمع الشجاعة في العرب كان الحلم الواسع ، والوفاء الرائع . وهاتان الصفتان تجعلان الشجاعة تبذل في موضعها ، وتظهر حين يستدعيها المقام ، ولاتبدو في تهور أوطغيان ، وإنما تكون حماية للشرف ، وصيانة للمنزلة والعز والسلام[2] .

وإن اجتماع الشجاعة والحلم والوفاء في أمة ، يجعلها بعيدة عن الاستذلال ، وعن الاعتداء ، وعن الضرر . وإذا ما اشتهروا بهذه الصفات حازوا الثقة ، ونالوا التقدير ، واستحقوا التصديق في كل ما يقولون[3] .

وهكذا كان العرب الأمة التي ظهرت فيها الدعوة ، فحملتها إلى الناس في كل أرجاء الأرض ، تصحبهم ثقة الناس فيهم ، ومعهم في كل مكان التقدير والتصديق والأمان .

خامسا : لقد كان العرب أكمل الناس في الفهم ، وكانوا لايبارون في قوة ذكاء ، وإصابة حدس ، وحدة ألمعية ، وصدق فراسة ، يخبرون عن الغائب بقوة ذكائهم ، كأن قد شاهدوه ، ويصف لهم الحدس الصائب حال الورد قبل أن يروه ، ويشفون ، أبعد شيء بحدة ألمعيتهم ، كأن ليس ببعيد[4] .

سادسا : كذلك قد تمتع العرب بفكر عقلي متقدم ، جعلهم يلامسون التوحيد عن قرب ، فجميعهم أقر بالإله الأعظم الذي يعلو كافة الآلهة التي هي وسطاؤهم عنده ، وشفعاؤهم إليه[5] .

وتعد ظاهرة الحنفاء : دليلا على مستوى التقدم العقلي عند العرب ، فقد خطب

---

(١) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١٠٨ .

(٢) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١٠٧ .

(٣) السابق ، ص : ١٠٨ .

(٤) الآلوسي ، بلوغ الأرب ، جـ : ١ ، ص : ١٩ .

(٥) د . محمد رشاد خليل ، ملامح من دور الإسلام في بناء العمارة العربية قبل البعثة المحمدية ، ص : ٦٠٧ ، ط : الأولى ، سنة : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

الحنفاء في المجتمعات بأفكارهم ، ولم يقف في وجههم عربي ، بل إن المشركين العرب ، كانوا يعتزون ببقايا دين إبراهيم – عليه السلام – ويعدون خدمة البيت ، وحجيجه شرفا يورثونه لأبنائهم وأحفادهم[١] .

ويبدو سمو العرب جميعا في فكرتهم عن الإله الأعظم ، حين نقارنهم بسائر الأمم في إيجاز ، ذلك لأننا نرى الروم برغم أن المسيحية دين التوحيد ، فإنهم أبعدوها عن حقيقة التوحيد ، واشتغل مفكروها بفلسفات جوفاء عقدت الدين ، وجردته من بساطته ، وجعلت العامة في حيرة من فكرة الطبيعة الواحدة لذات المسيح ، أو الطبيعتين ، وقدسية العذراء ، وبشريتها ، إلى غير ذلك[٢] .

واليهودية تحولت إلى مذاهب متناقضة ، لايجمعها إلا الإيمان بعنصرية جنس مقدس ، هو العنصر اليهودي ، ولايوحدها إلا شعار الخداع لكل البشر ، ماعدا اليهود[٣] .

والفرس بعد أن كانوا يتقربون للنور والظلمة ، على أساس أنهما رمزان للخير والشر ، أصبحا يعبدانهما على أساس أنهما إلهان اثنان ويعبدون غيرهما من المظاهر الطبيعية[٤] .

سابعا : من الصفات التي تميز بها العرب : أنهم أحفظ من غيرهم ، فحفظوا على سبيل التفصيل أيام حروبهم ووقائعهم ، وما قيل فيها من شعر وخطب[٥] .. وعلى الجملة فهم يملكون قوة حفظ خارقة عند الخاصة والعامة ، ومع مر الأيام صار الحفظ ملكة لديهم ، توارثوها جيلا عن جيل[٦]

---

(١) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١٠٨ .

(٢) السابق ، ص : ١٠٩ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) الآلوسي البغدادي ، بلوغ الأرب . جـ : ١ ، ص : ٣٨ .

(٦) لمعرفة المزيد من خصائص وصفات العرب ، انظر : عبد الرحمن الكواكبي ، أم القرى ، وهو :

فالدعوة الإسلامية أثمرت أكلها بظهورها في الأمة العربية ، إذ ناسبتها طبيعتهم البدوية الحضرية ، وأخلاقهم الرفيعة ، وشجاعتهم الحليمة الوفية ، وذكاؤهم الحاد ، وفهمهم الدقيق ، وحافظتهم القوية إذ جاءت الدعوة إلى كل هذه المزايا ، فنشطتها وسمت بها ، وأزالت منها السلبيات الموروثة ، فوجد العرب أنفسهم بعد الإسلام تلقائيا يبذلون حماستهم وقوتهم للدعوة الإسلامية ، ويعطون شجاعتهم وإمكاناتهم لأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفي خدمة دعوته ، فتحركوا إلى كل مكان من أجل نشرها ، تاركين كل مايهمهم ، وأصبح تعصبهم اندفاعا لتنفيذ أوامر الدعوة الإسلامية وتعاليمها .

وهذه الصفات التي اتصف بها العرب دون كثير من الناس ساعدت بغير شك ، على أن ينجحوا في نشر الدين ، وأن يذهبوا به إلى حيث شاء الله ، ولكن بعد أن هذب الإسلام من أخلاقهم وأصلح من عيوبهم ، وحال بينهم وبين كثير من الشرور التي كانوا عليها ...في جاهليتهم[1] .

وهكذا وضح السر في اختيار الأمة العربية ، لتظهر الدعوة الإسلامية فيها أولا . والله – سبحانه وتعالى – أعلم حيث يجعل رسالته .

عناية الله في اختيار المكان لظهور الدعوة

من دلائل الحكمة الإلهية العليا : أنه – سبحانه – لما اختار مكة لتكون أما لبلاد العالم ، واختار مسجدها ليكون أول بيت وضع للناس ، فقد هيأ بيئتها ، ومناخها وطبيعتها ، لتكون أصلح مكان في الأرض ، لنماء وثبات عقيدة الإسلام العالمية[2] .

ضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة الإسلامية ، ط : الثانية ، سنة : ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، طبع ونشر : دار الرائد العربي ، بيروت .

(١) د . عبد الحليم محمود ، الدعوة الإسلامية ، جـ : ٢ ، ص : ٥٠٧ .

(٢) عبد القادر أحمد عطا ، لماذا بعث الرسول في مكة ؟ ص : ١٤ ، ط : دار العلوم للطباعة بالقاهرة ، سنة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .